مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً

العدد الثانى

1985

- من قضايا الفكر والعقيدة
- مذاهب بلا إسلام
- معارف إسلامية
- مخطوطات ليبية
- دور الفكر الواقعى فى النهضة الإسلامية

جوانب من تاريخ الحياة التعليمية فى مدينة طرابلس

• الاستاذ احمد محمد الخليفى •

نظرا لما يمثله التاريخ الثقافى من أهمية فى التعريف بجوانب متعددة من الحياة العامة والحياة العلمية على وجه الخصوص فقد رأت هذه المجلة ان تفرد حيزا من صفحاتها لرجل من أعلام التعليم والتربية فى بلادنا تلقى دراسته فى أواخر الاحتلال الايطالى وخلال عهد الادارة البريطانية ، ثم واصلها فيما بعد حتى تحصل على درجة الماجستير فى الفقه المقارن .

ذلكم هو الاستاذ احمد محمد الخليفى الذى قضى ما يزيد عن ثلاثين سنة فى مجال التدريس بمختلف مراحله ويعمل الان استاذا بكلية الدعوة الاسلامية .

وهو فى عرضه هذا سيحدثنا عن أساتذته فى أسلوب سلفى على نمط فهارس الشيوخ ونتعرف من خلال ذلك العرض على اساليب التعليم والمقررات الدراسية والمؤسسات التعليمية المعروفة فى تلك الفترة وربما ألمح الى بعض الاشارات التاريخية التى تعرض لمقاومة العلماء للاستعمار فى الادوار التى صمتت فيها البندقية وظن الناس ان الشعب قد استلم بالكامل لمستعمريه .

التحرير

الحمد الله الذى يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والصلاة والسلام على أشرف الاولين والاخرين سيدنا محمد الذى شرف أهل الفضل وألِفَ أهل العلم وانزل الناس منازلها وجعل اقربهم اليه احسنهم اخلاقا واعظمهم فضلا واكثرهم تقى واحسنهم تواضعا ـ صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين .

وبعد فقد الح عليّ بعض الاساتذة الذين لا أستطيع لهم خلافا ولا أرد لهم طلبا ولااجبرلهم خاطرا لمكانتهم فى نفسى ، واعترافا بفضلهم عليّ وعلى الناس حفظهم الله وسدد خطاهم بأن اكتب تقارير وجيزة على حياة بعض أساتذتى الذين شاع فضلهم وعظم قدرهم وانتفع الناس بعلمهم وان كنت لست اهلا لذلك اذ انه لا يخرج لؤلؤ البحار الا الغواص ولا يصل الى اخذ الاحجار الكريمة من معادنها الا ارباب الصناعة الذين لايدرك لهم شأو ويسبقون غيرهم على كل علم وفضل .. لكن ما لايدرك كله لا يترك جله او بعضه ، وقديما قيل :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

وانطلاقا من هذا المعنى لبيت رغبة الداعى وعزمت على ان اكتب أسطرا عن حياة عدد من أساتذتى من غير ان اذكر ما لهم من جميع الفضل لان ذلك ليس فى امكانى وانني لست اهلا لتحديد فضل أهل الفضل .

ورأيت ان اقدم بين يدى هذا العرض فكرة موجزة عن الفترة التى تلقيت فيها دراستى حتى تتضح صورة المعاناة التى يلاقيها من يتجه الى مجال التعلم فى ذلك التاريخ .

أقول درست فى زمن أشبه ما يكون بزمن الظلمات حيث عهد الاستعمار الايطالى البغيض والانتداب البريطانى الذى كان المواطن فيه ينتقل من تسلط الى آخر غير أن العهد البريطانى يتميز عن سابقه بأن بريطانيا كانت كالوصية على البلد بعد نهاية الحرب وبعد أن قوى امل الناس فى الاستقلال والحرية وتنفسوا الصعداء بعد الاستعمار الايطالى المظلم أملين ان يتحقق لهم ما تحقق بعد عشرات السنين .

وأنشئت حركات وطنية ، منها ما ينادى بالاستقلال ولو صوريا ومنها ما يطمح فى الانعتاق النهائى فظهر حزب الجبهة الوطنية المتحدة برئاسة سالم بن منتصر ومن

اعضائها الطاهر المريض وعون سوف وابوالاسعاد العالم . وحزب المؤتمر برئاسة السعداوى . والكتلة الوطنية برئاسة على الفقيه حسن . والحزب الوطنى الذى كان أول رئيس له الاستاذ احمد الفقيه حسن ثم خلفه مصطفى ميزران . وحزب الاحرار برئاسة الصادق بن زراع . وحزب الاستقلال برئاسة سالم بن منتصر .

كنا طلابا فى هذه الفترة واساتذة نؤيد هذه الجبهة او ذلك الحزب ونموج فى زخم من الاراء الرافضة المجادلة او المؤيدة المدافعة وقد تجد منا من يعبر عن رأيه بالشعر او بالكتابة ومنا من يكتفى بالمحاجة والمناقشة الشفهية .

وظهرت نهضة سياسية وعلمية من جراء قدوم الاساتذة المؤهلين من الازهر من أمثال الاستاذ على مصطفى المصراتى والشاعر محمد ميلاد مبارك والاستاذ الطاهر سبيطة وغيرهم .. وتكونت نخبة من الخريجين اضفت على البلاد شيئا جديدا من التعليم النظامى فى الثانويات والمعاهد المتوسطة .

وأنشئت فى هذه الفترة بعض الجرائد ؛ ومن ذلك ان المؤتمر انشأ « الشعلة » فاذكت النار فى حزب الاستقلال الذى أنشأ بدوره جريدة الليبى وكانت بعض الاراء تتسرب الى جريدة طرابلس الغرب الرسمية .

وأسست بعض النوادى الادبية واقيمت الندوات والمحاضرات وخطت البلاد على اثرها خطوات لابأس بها فى مجالات الثقافة والفكر وكانت تلك هى بيئتنا التى جمعت الى مناهجنا العلمية مصادر اخرى من مصادر ثقافتنا العامة أما الدراسة النظامية فهى التى اعرض لها فى الصفحات التالية :

الاساتذة : ـ

لقد رأيت ان اذكر الاساتذة الذين تعلمت على ايديهم كتاب الله أولا متبعا فى ذكرهم جميعا طريقة الترقى وأولهم : ـ

١ ـ المقرىء محمد العربى نديو الفزانى الذى كان رجلا محبا لتلاميذه محافظا على اوقاته ، حريصا على حضور الطلبة فى الميعاد المحدد ، يكثر تلاوة القرآن الكريم تقيا ورعا لا يترك الطلبة الا لامر ضرورى .

كان يلاطفنى ويخصنى بتدريس القرآن فى اوقات فراغه وذلك ببلد الخلائفة من قضاء يفرن حوالى سنة ١٩٣٥ .

ثم انتقلت الى طرابلس حوالى سنة ١٩٣٦ م وفيها تتلمذت على : ـ

٢ ـ محمد الغاوى العجيلى :

الذى كان يحفظ كتاب الله ، فقيها ورعا تقيا حريصا على نفع التلاميذ وعلى أن يحاسبهم حسابا عسيرا دون ان يؤذيهم بعصا وكان يمقت المستعمرين الطليان واذا

أكد من خلو المكان اخبرنا بما جروه على البلاد من ظلم وعسف فاذا فرغ من حديثه قال لنا ممازحا « ما قلت شيئا ولا سمعت شيئا » .

وفى السنة نفسها انتقلت الى مدرسة ميزران التى كانت معروفة بالزاوية وجدتها تعج بالطلبة آنذاك فيها من المهاجرين ومن اهل البلد وفيها من طلبة العلم الاذكياء ذوى الأفكار الثاقبة والعقول النيرة ومن حفظة كتاب الله العدد الكثير .

رجال يبيتون سمرا مجدين فى تلاوة كتاب الله لا يبالغ من يقول لك ان هذه الزاوية التى ضمتهم تشبه خلية النحل .

كان الطلبة يدرسون فيها العلم والقرآن ولا تنقطع لهم ابحاث فى مسائلها فاذا اتيت طلبة القرآن وجدت لهم حلقا يدرسون فيها دراسة الرعيل الاول واذا اتيت زاوية السنة وجدت رجالا عاكفين على دراسة الفقه والعربية بجميع فروعها وعلوم السنة بانواعها ووجدت منهم المحدث والاديب والذى برز فى العربية والفقه وكنت بمقتضى وضعى من طلبة القرآن آنذاك فتتلمذت على :

٣ ـ الشيخ المهدى الهنشيرى .

وهو الذى كاد يكون أفضل حافظ لكتاب الله فى هذا البلد كان حريصا على تحفيظه للطلبة لايترك لهم فراغا آناء الليل واطراف النهار .

يحضر بنفسه تلاوتهم ليلا من صلاة العشاء حتى الهزع الاخير من الليل فى مدرسة يزيد عدد طلابها عن الاربعمائة طالب يصحح الواحهم جميعا كل يوم ولا يبالغ من يقول لك انه يختم القرآن يوميا .

كان شديدا على الطلبة لا يضع عصاه عن كاهله ولكم يفرح من يقرأ عليه لوحه دون أن يتعرض لاهانة أو لطمة،ومن لا يتحمل ذلك يتحايل على أن يقرأ لوحه على الشيخ مفتاح الساحلى وكان اذا عاتب طالبا من الطلبة الكبار تمثل له بقول الشاعر :

وفى التوراة مكتوب بحبر طوال الناس ليس لهم عقول

ولا أدرى ما الباعث على ذلك، أهو اهانة الطوال أم الحسد لهم .. لأنه كان قصير القامة ؟

وأغلب الظن أنه يستحثهم بهذا التقريع لبذل الوسع فى الحفظ ..
ولله درالاستاذ عبدالسلام خليل الذى رثاه عند وفاته بمرثية عظيمة ، قصيدة عصماء منها قوله : -

اما العيون فقدتها طل مزنها	دمعا يفوق تصور الانسان
يوم ارتقى للخلد أكرم حافظ	كانت له فى الناس رفعة شان
هل تعرفون عن الفقيد بانه	خمسين عاما عاش للقرآن
فى صحبة التنزيل أنفق عمره	يحدوه اخلاص وعمق تفانى
يسقى الظماء رحيق دستور الهدى	والمنهل القدسى دون توانى

٤ ـ وكان من مساعديه الشيخ مفتاح ابوعزة الساحلى رجل لين يكثر تلاوة كتاب الله محب للطلبة وكانوا يحبونه ويلتجئون اليه فرارا من سطوة الشيخ المهدى لكنه كان يساعدهم ويمازحهم اذا كان مسرورا والا فيكون عليهم شديدا فيغدون بذلك « كالمستجير من الرمضاء بالنار » .

٥ ـ ومن اساتذتى المقرىء محمد قعير البشتى الذى تتلمذت عليه بجامع العزابة فى زوارة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، هاجر اهل البلد فرارا من الغارات الجوية والبحرية فوجدت فيه نعم الشيخ والرفيق .

وبعد انتهاء الحرب العالمية رجعنا الى طرابلس وكنت فى هذه المرحلة من طلبة العلم فى زاوية السنة فكان اول استاذ تتلمذت عليه هو : -
٦ ـ الشيخ احمد الازمرلى :

كان استاذا صوفيا ونحويا غرس فى انفسنا محبة النحو وعلمنا قواعده وشرح لنا الاجرومية شرحا شفى نفوسنا وحسن نطقنا وعلمنا قواعد النحو فكلما قرأنا كتابا فيه بعده ما وجدنا لغيره كثير فضل عليه .

ومما كان يردده علينا فى اثناء درسه :

العلم	شيء	حسن	فكن له	ذا طلب
ابداه	بالنحو	وخذ	من بعده	فى الادب

وكان يجمع لنا قواعد النحو بالاشارات الصوفية فيقول مثلا فى المبنيات :

فـهمـنـا شـرطهم لـمـا أشـاروا بـأفـعـال لاضمـار الوصـال

يشير بفهمنا إلى أسماء الاستفهام ، وبشرطهم الى أسماء الشرط ، وبأشاروا الى اسماء الاشارة ، وبأفعال إلى الافعال المبنية ، وبالاضمار الى الضمائر وبالوصال الى الموصولات .

من أساتذته الشيخ عبدالرحمن البوصيرى ومحمد كامل بن مصطفى وغيرهما .
- وبعد وفاته تتلمذت على الحاج الشيخ على محمد الغريانى التاجورى عالم أهل زمانه وصاحب الفضل العظيم والدرجات الرفيعة .يحترمه كل من رآه . ويعزه كل من اجتمع به ، ولا غرابة فى ذلك فمن أحبه الله حببه لعباده .

والحديث عنه يطول ، فقد قيل قديما حدث عن البحر ولا حرج ، وهو بحر فى الفقه لا يفتر عن تدريسه ، يطبق افعاله على احكامه ، ويعلم الناس فى المدرسة وفى البيوت وفى الشوارع واكثر ميله الى شرح العبادات .

وكان محدثا ، درسنا عليه الموطأ ، وكان أخذ الاذن فى تدريسه من الشيخ عبدالرحمن البوصيرى قال له « انت مأذون بجميع أنواع الاذن » .
وكان يتمثل فى أثناء شرح الحديث بقول الشاعر :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

عرض عليه منصب القضاء مراراً فرفضه لأنه لا يرضى أن يكون مسيرا بأمر السلطات الاستعمارية ولا يقبل العمل معها والسير فى ركابها . وفضل أن يعيش من ريع الأوقاف لقاء تدريسه وإمامته المسلمين .

درس على والده ثم على أخيه محمد ، فعلى الاستاذ عبدالرحمن البوصيرى والشيخ على النجار ، والأمين العالم وغيرهم من اساتذة كلية أحمد باشا .
٨ - ومنهم الشيخ أبوبكر بن لطيف .

كان صوفيا ومربيا بارعا درسنا عليه الفقه والنحو والتوحيد ، ولكنه كان من رجال الأدب . كان يتمثل لنا بقول الشاعر :

أقـول لظبى مَرَّبِى وهـو راتع أأنت أخـو ليلى ؟ فقـال : يقال

قلت : أفى ظل الأراكة والنقا يقـال ويستظلل ؟ فقـال : يقال

قلت : يقال المستجير بأرضكم إذا ما جنى ذنبا فقال : يقال

كان محبا لاقتناء الكتب ، ميالا إلى حديث السياسة ، ربما لأنه كان من أسرة ذات صلة بالبلاط العثمانى . وكان يكره الفاشيين ، ويثنى على المجاهدين بخير ، ويلعن الفرقة التى مكنت للطليان ... وكان يرجع خذلان المجاهدين الى الزعماء الجهلة ذوى الانفس المريضة والأطماع الممقوتة ، ويود أن يكتب تاريخ البلد فى حياته .

من اساتذته الأمين العالم وعبدالرحمن البوصيرى وعلى النجار ومحمود لمسلاتى وغيرهم .

٩ ـ ومنهم على عمر النجار الهنشيرى :

شيخ المشايخ وقدوتهم وإمام الأتقياء وصلتهم ، الفقيه المحدث الذى لا تشعر بملل ما دمت فى درسه ، وتتحصل على الجديد كلما صحبته . حديثه علم ، والقرب منه فوز . لا تقلأ درسه ولا تمل حسه . من أهل العلم والرواية والفهم والدراية عاش أول حياته فقيراً وأقبلت عليه الدنيا أخيراً .

كان يدرس مختصر خليل بن اسحاق ، وتفسير أبى السعود وجوهرة اللقانى ، بالاضافة الى كتب الحديث والأخلاق ، فهو شيخنا وشيخ مشائخنا ، له الفضل على سائر الطلبة بطرابلس ـ رحمه الله .

والجدير بالذكر أنه تلقى تعليمه بالأزهر ، وذكر أنه تتلمذ على الشيخ محمد عبده والشيخ عليش فيمن تتلمذ عليهم هناك .

١٠ ـ ومنهم الشيخ المهدى ابوشعالة المصراتى .

كان فقيها ورعا وأشعريا متعصبا ، يدرس الطلبة علم التوحيد والفقه ، وكان ذا نقل حسن وذكاء بارع كما كان يحب الجدل ، والبحث فى العلم ويحب الطلبة المجدين .

تلقى العلم على الشيخ عبدالرحمن البوصيرى والحاج على الغريانى والشيخ على النجار وغيرهم .
وتتلمذ عليه الطلبة بزاوية بنى يربوع بالزاوية الغربية عندما رحل إليها فى اثناء الحرب العالمية الثانية ، وتتلمذوا عليه بعد رجوعه إلى طرابلس عندما وضعت الحرب أوزارها .

علم الناس فى جامع أحمد باشا القرمانلى ، وكان يحب آثار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتعلق بسمت الصحابة كما كان ميالا الى قرض الشعر على بحر الرجز .
له منظومة فى الفقه حاول فيها نظم «اقرب المسالك» وله منظومة أخرى مطبوعة أسماها «زبدة عقائد التوحيد» وبهامشه العلامات الكبرى .

١١ ـ ومنهم المرحوم الشيخ على حسن المسلاتى الليثى .
من العلماء الافاضل الذين اذا تكلموا فى العلم اوفوا المقام حقه ، وكانت له ميول إلى علم النحو والصرف كما كان يحب علم العروض ، ويميل إلى تدريسه ، ويتكلم فى بحوره .

وهو أكثر اساتذتنا اشتياقا الى الكلام فى علمى الفرائض والصرف ، واذا حاول الطلبة سبر غوره ونقاشه قال لهم : دعونى لو أردت أن أتكلم فى هذا الموضوع لما استوفيته حتى بعد سبعة أيام ، فيحمل الطلبة كلامه على البسط ، وكان بعضهم يدعوه بالمصدر لكثرة ذكره للمصادر الثلاثية والرباعية من كل كلام .
اشترك فى امتحان القضاء ، ونجح فيه بالترتيب الثالث على مستوى ليبيا آنذاك .
ثم تولى قضاء ككلة وسوق الجمعة ـ فيما أظن ـ وكان محمود السيرة فى قضائه .
وعندما سنحت له فرصة الرجوع إلى التدريس ترك القضاء لا عن عجز ولكن رغبة فى التعليم .
درست عليه شرح العاصمية للتاودى والشنشورى وسبط الماريدين فى الفرائض والقطر وشذور الذهب فى النحو والعربى ، ولامية الافعال فى الصرف، ثم تولى إدارة القسم العام لمدة ثمانى سنوات .
كان عند البحث يشارك فى كل فن كما كانت له أخبار عن المجاهدين وحرب التحرير .
تتلمذ على الشيخ عبدالرحمن البوصيرى والشيخ حميدة الكراثى والشيخ على النجار والشيخ على الغريانى .

١٢ ـ وكان من أساتذتنا الشيخ الأكبر محمود المسلاتى ، وهو من رجال البخارى يحدث به فى جامع الباشا ، ومن أساتذة التفسير والعربية ،تولى وظائف عالية فى التربية والتعليم .
تلقى العلم على والده الشيخ عمر المسلاتى مفتى ليبيا قبل سنة ١٩٢١م وغيره من أعلام البلد كما تلقى العلم على كبار الأساتذة فى الأزهر .
١٣ ـ ومنهم الاستاذ محمد المصراتى التى كان يمتاز عن زملائه من علماء ليبيا آنذاك بمعرفة فن القراءت والتجويد معرفة دقيقة ، فقد كان ذا قدم راسخة فى علم التجويد .
درسنا عليه التوحيد والحديث وأسندت إليه دروس العربية لبعض الطلاب .
كان مجاهداً وهاجر عندما تم الاحتلال ولم تكن جدوى لمواصلة الجهاد فى نظره .

ثم إن رغبته فى الرجوع الى البلد وانتهاز الفرصة للجهاد وتعليم طلبة العلم بالبلد عوامل حملته على الرجوع إلى ليبيا تاركا ما كان يتمتع به من الميزات .
وبعد عودته أخذ فى تدريس العلم ، فكان يعلمنا ويلقننا أحياناً تاريخ البلد وفائدة الجهاد وكانت أمنيته أن يرى ليبيا محررة فى حياته .
كان الشيخ ممن تود إيطاليا اعدامهم لو ظفرت بهم ولكن تدخل بعض الدوائر العربية مهد له سبيل الرجوع الى الوطن .

وكانت هجرته الى السعودية عن طريق تونس ، وأذكر أنه أخبرنا عن مناظرة حصلت له مع علماء الزيتونة .
تتلمذ الاستاذ محمد المصراتى على الشيخ عبدالرحمن البوصيرى وغيره من أساتذة كلية أحمد باشا .
١٤ ـ ومن اساتذتنا الكبار الشيخ مفتاح الغنيمى الذى كان من سكان مقطع الحجر فى الظهرة . ومن دعائم العلماء فى علم العربية .
درسنا النحو عندما كنا مبتدئين ، فكان أعلى من مستوانا آنذاك كان يختبرنا ويجعل لنا ما يشبه الواجبات التى يجعلها الأساتذة العصريون .

كان عظيم الخلق كريم الطباع شاكراً لأنعمه برغم فقره ، عفيف النفس ، عالى الهمة ، يحب العربية وطلابها ، ويثنى على سيبويه والدماميني بخير .
١٥ ـ ومن اساتذتنا الأفاضل الشيخ الطاهر سبيطة الذى درسنا المنطق بعد وصوله من الأزهر حوالى سنة ١٩٣٨م وهو ذو باع واسع فى علم الشريعة والعربية والمنطق .

تولى القضاء ببئر الغنم وانشأ من تلك المحكمة المبعثرة وبين أولئك البدو الرحل يومئذ محكمة عصرية نظم دواوينها وانصف فى احكامها ، وحسن من أوضاعها وأوضاع محكمة الرياينة التى انتقل اليها فيما بعد .. ثم انتقل الى التربية والتعليم ، وله فيها الفضل الكبير وتقلبه فى المناصب لم يثنه عن العلم والحرص عليه .

١٦ - ودرسنا الشيخ عبدالرحمن القلهود الجوهر المكنون فى البلاغة ورسالة الدردير فى البيان والسمرقندية فى البيان أيضا وقطر الندى فى النحو وكان عالما واسع الاطلاع وبخاصة فى علم العربية والشريعة .

تلقى العلم على الشيخ البوصيرى والشيخ الغريانى وابن لطيف وغيرهم .

١٧ - ومن الأساتذة الذين صحبتهم ، وتلقيت عليهم دروسا غير منتظمة ونصائح وارشادات الاستاذ الشيخ ابوالقاسم على القلعاوى .

كان من الفقهاء المبرزين ، وله دراية بعلم العربية ، أَعْرَفُ أهل الجبل بالنحو والفقه فى وقته ، لا يحيد فى فتواه عن معتمد الأقوال ، له قدرة عجيبة على جمع النصوص من مصادرها . فهو بحق عالم ذو قدم راسخة فى العلم .

تلقى تعليمه فى مدارس الجبل التى تعرف بالزوايا انذاك ، ومنها على سبيل المثال : زاوية أبى ماضى وزاوية أبى زيان على ما اظن - وزاوية الباقول ، وكان من اساتذته:على عيون الغزال ،وابوالقاسم ابيض الركاب وامحمد الجرسانى وعبدالرحمن بن منيع ، ثم تولى التدريس بالزاوية المذكورة فاخذ عليه العلم طلبة من أهل البلد كانوا يحبونه ويعترفون بفضله .

كان يكره الفاشست كرها شديدا ، فلا يما لئهم ولا يسير فى ركابهم ، ولا يحب من يحبهم ، وعرض عليه القضاء فرفض بشدة آنذاك ، وكان فقيرا فى حاجة حتى إلى ما يحقق قوته اليومى .

وكثيرا ما تبرأ من الحرب الداخلية التى اذكى نارها الايطاليون والمالئون لهم ، فافتى بحرمتها ، وافتى بمنع اغتصاب أرزاق الناس من بعضهم .

كان رحمه الله محافظا على دينه ، مقيم الصلاة آناء الليل وأطراف النهار ، ولا

يقصر القيام على رمضان فقط ، بل كان مداوما عليه طول السنة ، وكان مضرب المثل فى الكرم .

كنت سئلت على نازلة لعان فأفتيت به وأجريته بين الرجل والمرأة برضائهما معا ، وما كنت أظن أنه من الأمور التى يتولاها القاضى حتى نبهنى لها بعد أن وقعت ، وأصدر فتيا كانت سببا فى نجاتى من المساءلة يومئذ ، فجعل من الممكن أن يتولى هذه المهمة جماعة المسلمين ، وبذلك برر فتواى ، فلا انسى له بها فضلا رحمه الله .

وكان من تواضعه يحب أن يعيش على خشن العيش واللباس بشرط أن يكون مطابقا للشرع .

وضاق بالخبر ذرعا عندما حاول القاضى ابورخيص الزج به فى القضاء ، وقال له : انا لا أصلح لذلك ، فان صدقتنى اتركنى ، وان كذبتنى فلا أصلح لقضاء المسلمين ، فتركه حين علم صدق نيته .

لقد كان يعيش على فلاحته اليسيرة ، وعلى ماتأتيه به الناس من الزكاة أحيانا ، مستريحا لذلك ، حيث كان لا يمت إلى الايطاليين بصلة ولا يقبل منهم مرتبا ، بالرغم من أنه لو شاء لكان فى مقدمة من يستحقون الراتب عن جدارة سواء أكان ذلك فى القضاء أم فى التدريس .

ولكم يأخذك العجب العجاب لو شاهدت حاله من كثرة صومه نهارا وقيامه ليلا طيلة أشهر السنة ـ رحمه الله رحمة واسعة ..

١٨ ـ ومن الذين كنت أميل إلى وعظهم وارشادهم فى رمضان : الشيخ عبدالحميد بن عاشور ـ رحمه الله ـ وهو العالم الذى تقلب فى مراتب القضاء حتى تولى رئاسة محكمة الاستئناف ورئاسة ادارة التفتيش الشرعى وخدم وطنه باخلاص مدة توليه مقاليد القضاء .

له دراية جيدة بعلوم السنة ، وإن تعجب فعجب حفظه لأسماء الرجال ، ونقل الطبقات ، واذا حدث أخذ حديثه بالألباب لفصاحة لسانه وقوة بيانه ونقله للوقائع الصادقة حتى يصير السامع وكأنه يعيش بين أولئك الناس وله، طرق جيدة فى تفسير كتاب الله ، ولا سيما اذا فسره بالمأثور ، وبين معناه بالوارد ...

كان يلقى دروسه فى اخريات حياته فى جامع « شائب العين » فيحضرها جمع كثير من طلبة العلم وغيرهم ، وكان رحمه الله من ـ أعلام البلد المرموقين وتلقى العلم على أساتذة الازهر الذى تخرج فيه

١٩ ـ ومنهم الشيخ سالم بو كر الجنزورى ، الذى كان يتمتع بصفة علمية رائعة وبخاصة فى علم الفقه وعلوم السنة وعلم العربية بجميع فروعها . تلقى تعليمه بطرابلس فى كلية أحمد باشا ـ التى كانت تعرف بهذا الاسم قديما ـ ثم تولى التدريس فى المعهد الدينى . فدرسنا من المصادر العربية والشريعة الشىء الكثير .

قرأنا عليه أقرب المسالك وابن عقيل ، والنحو الوافى ، وغيرها . وكان ذلك فى بداية الخمسينات .

وله عناية بأخبار الجهاد والمجاهدين التى كان يقصها على الطلبة فى اثناء الدرس ، فينصف من كان مخلصا ويترحم عليه ، ولا يرضى على من كان خائنا ،ويذكر الطلبة بسيرته .

وكان لايمل المذاكرة ، ولا يبخل على الطلبة بعلم ، ويحب الأذكياء منهم ، ويقربهم ، بالرغم من تواضعه للجميع ـ رحمه الله .

٢٠ ـ ومن الأساتذة الأجلاء الشيخ الأديب عبد السلام خليل الجنزورى منشأ الفيتورى أصلا .

علمنى العربية والفقه والأدب إذ قرأت عليه العزية فى الفقه وخالد والازهرية فى النحو والوسيط فى الأدب ورسالة الدردير فى البيان .

كان يدربنا على الانشاء والخطابة ، فهو المنهل العذب فى الأدب ويعد من أساطين البلد فيه ، فهو أول من شنف آذاننا بالألفاظ العربية الجزلة مثل العقنقل والسجنجل ، ورى المخلخل ، وناء بكلكل ، إلى غير ذلك من الالفاظ العربية القوية والغريبة والمأنوسة وكان أديبا بدون نزاع ، ولا يبالغ من سماه « طه حسين ليبيا » فهو الذى عرفت فيه الأديب والخطيب والكاتب والشاعر .

كان يبث برامج كثيرة فى الاذاعة ، وانشأ ركن الاسلاميات بها منذ تأسيسها ، وهو من أعضاء النادى الأدبى الذى كان يرأسه أحمد الفقيه حسن ، وله مناشط كثيرة غير ذلك .

والشيخ عبدالسلام خليل متكلم بارع قوى الحجة مرهف الحس ، حديثه كالنسيم وخطبه كالسلسل ، أذكر أنه رحب بالشيخ الفاضل بن عاشور عند زيارته لالقاء محاضرة علمية فقدمه بكلمة بليغة نالت غاية إعجاب المحاضر والسامعين .

وله شعر ظريف جزل فى بعض الأحيان ورقيق اذا اقتضى المقام ذلك ، وله قصائد فى بعض أصدقائه تكتب بماء الذهب لا يتسع المقام لعرضها .

تلقى تعليمه على الشيخ على عمر النجار والشيخ على الغريانى والشيخ ابوبكر بن لطيف وغيرهم .

٢١ ـ ومنهم الشيخ سليمان الزوبى الذى درسنى المستصفى فى الأصول وتفسير الجلالين ولم يكمله ، فهو من أهل العلم وتولى ادارة المعهد الدينى بطرابلس ثم وكالة الكلية فى البيضاء .

٢٢ ـ ومنهم الشيخ عمر العربى الجنزورى منشأ الزنتانى أصلا ـ كما يقول ـ فهو خزانة فى العلم متحركة ، يحفظ الشعر والنثر .

درسنى ابن عقيل وشذور الذهب والجوهر المكنون ،وكانت له قوة على استيعاب المسائل ، يحفظ أيام العرب ووقائهم ولايبالغ من يقول لك : إنه نحوى البلد ، متمكن فى العربية اكثر من غيرها من الفنون ، ويقرض الشعر احيانا ، ومن شعره قصيدة رائعة يقول فى اولها بمناسبة كثرة مواد جدوله فى إحدى السنوات الدراسية :

قصتى ياقوم قصه جدولى عشرون حصه

فكانت قصيدة رائعة ممتعة ذكرها على غرار قصيدة أبى نواس التى يقول فيها :

قصتى ياقوم قصه صارت الظبية لصه

وكان يحب ان يشارك فى المناسبات الوطنية ، ويذكر أخبار المجاهدين دائما، من ذلك أنه كان يحدثنا عن اخبار عمر المختار ورمضان السويحلى ، وصلح بنى آدم ،ويثنى على الزعماء المخلصين ، ويتبرأ من غيرهم ما استطاع .

من أساتذته على الغريانى وعبدالرحمن البوصيرى والقلهود والنجار وغيرهم .

٢٣ ـ ومنهم الإستاذ نورالدين الشلى المهتم بالتاريخ والآثار وأكثر توليته كانت فى مصلحة الآثار لما يتمتع به من حسن اطلاع على التاريخ وقوة تحقيق فى مواده والمامَ دقيق باللغة الايطالية .

درسنى التاريخ عندما انتدبته الكلية من المعارف فى فترة الانتداب البريطانى ، وكان يعتز بالأدب ويتمثل كثيراً بقول ابن زيدون : ـ

ما على ظنى بأس يجرح الدهر ويأسو
ربما أشرف بالمرء على الآمال ياس
ولقد ينجيك إغفال ويرديك احتراس
والمحاذير سهام والمقادير قياس

٢٤ ـ ومنهم الاستاذ الطاهر مختار الشكشوكى الذى علمنى فن الانشاء يوم أن انتدب من المعارف إلى الكلية فى سنوات الانتداب البريطانى .

كانت له شجاعة أدبية جلية ، اذ كان أصغر سنا من تلاميذه ومع ذلك علمنا كيفية التعبير وكتابة الموضوعات وكانت عباراته سهلة ممتنعة .

كان ـ رحمه الله ـ يجبرنا على كتابة الموضوعات كيفما تكون ، ويقبل غثها وسمينها ، ويأخذ بيد الطالب مهما كانت منزلته .

٢٥ ـ ومنهم الاستاذ حمزه الحطيم المصرى الذى انتدب مدرسا للكلية من المعارف فى تلك الفترة ، فكان شاباً متضلعاً فى الادب تخرج فى كلية دار العلوم بمصر .

درَّسنا أيام العرب ووقائعهم ، فكان اذا تكلم عن حرب البسوس مثلا أو حرب داحس والغبراء ذكر رجالاتها وشواهدها والظروف الملتبسة بها ، وصورها تصويراً يشعرك أنك تعيش تلك الظروف مع أولئك الناس من كثرة ما يضربه من الامثال وما يستحضره من الاحوال .

٢٦ ـ ومن العلماء الأعلام الذين تلقيت عليهم علم الفرائض الشيخ عبدالرزاق البشتى الذى درسنى سبط الماردين ، وكان من المبرزين فى الشريعة والقانون .

تولى القضاء الشرعى ثم المدنى ، وأغدق على تلاميذه من العلم ما صيرهم أساتذة مرموقين ، وأولى عنايته لاصحاب مواهب الأدب والكتابة .

وكان يحب البحث والمناظرة ، ويود أن تكون الأبحاث والأحاديث مدللة بالبراهين والحجج القوية .. وهو بالاضافة الى ذلك قليل الكلام ، لا يرسله على عواهنه ، فاذا تكلمت أمامه طالبك بالدليل ، واذا تكلم استدل قبل ان يطالب به . وأذكر أنه كان يشرح المواد القانونية شرحا شفهيا يتمنى السامع أنه كان فى كتاب مسطور حتى يمكن الرجوع اليه فى كل وقت ثم هو متواضع الى ابعد حدود التواضع ولكنه لا يحمل نفسه على من يهينها ، قدوة الرجل المجد ولكنه لا يستنكف عن المزاح فى اوقات فراغه .

تلقى العلم على والده بزاوية الأبشات تم ارتحل إلى الأزهر فاكمل تعليمه هناك .

خاتمة

وبعد : ـ فهذه لمحات عن بعض من تلقيت عنهم العلم الذى طلبته وأنا أقاسى من الآلام والشدة الشىء الكثير لظروف مختلفة تجعل الطلب ضرباً من المعاناة العسيرة .

وأرجو بذلك أن أكون قد أوفيت العرض بعض حقه ، وإن فاتنى ذكر بعض التواريخ والتفاصيل التى آمل أن تتدارك بتظافر الجهود على دراسة هذه الفترة المهمة فى تاريخنا الحديث .